**العدد ١٩/٢٠٠٣**

**الأحد ١١ أيار**

**أحد حاملات الطيب**

**تذكار يوسف الرامي ونيقوديموس**

**والقديس الشهيد في الكهنة موكيوس**

**اللحن الثاني**

**إنجيل السحر الرابع**

# الرسالة

(أعمال الرسل ٦: ١–٧)

في تلكَ الأيامِ لمَّا تكاثرَ التلاميذُ حدثَ تذمُّرٌ مِنَ اليونانيينَ على العبرانيين بأنَّ أرامِلَهُم كُنَّ يُهمَلْنَ في الخِدمةِ اليوميَّة* فدعا الإثنا عَشَرَ جُمهورَ التلاميذِ وقالوا لا يَحسُنُ أن نتركَ نحنُ كلمةَ اللهِ ونخدُمَ الموائد* فانتخبوا أيها الإخوةُ مِنكم سبعةَ رجالٍ مشهودٍ لهم بالفضلِ مُمتلئينَ مِنَ الروحِ القدس والحِكمةِ فنُقيمَهم على هذه الحاجة* ونُواظبُ نحنُ على الصلاةِ وخِدمةِ الكلمة* فحسُنَ الكلامُ لدى جميعِ الجمهور. فاختاروا إستفانُسَ رجلاً مُمتلِئًا مِنَ الإيمانِ والروحِ القدس وفيلبُّسَ وبُروخورُسَ ونيكانورَ وتيمُنَ وبَرمِناسَ ونيقولاوُسَ دخيلاً أنطاكيًّا* وأقاموهم أمامَ الرسل. فصَلُّوا ووضَعوا عليهم الأيدي* وكانت كلمةُ اللهِ تنمو وعددُ التلاميذ يتكاثرُ في أورَشليمَ جدًّا. وكانَ جمعٌ كثيرٌ مِنَ الكهنةِ يُطيعون الإيمان.

# حاملات الطيب

خلافًا للأناجيل التي تُقرأ في الآحاد بعد الفصح والمأخوذة من إنجيل يوحنا نقرأ في أحد حاملات الطيب نصًّا من إنجيل مرقس يعرض مشهدَي دفن يسوع واعتلان قيامته لنساء جئن يطيّبن الجسد الدفين عملاً بتقاليد اليهود. في المشهد الأول يقدّم الإنجيلي شخصية يوسف الرامي على أنه مشير تقي ينتظر ملكوت الله، ما يوحي بأنه كان عضوًا في مجلس أعيان اليهود. يدعم هذا الاعتقاد تجرؤ يوسف على الدخول إلى بيلاطس الوالي طالبًا جسد يسوع، وكانت العادة آنذاك تقضي بأن لا تُدفن أجساد المحكومين بالإعدام بل تلقى على المزبلة خارج أسوار المدينة. الإنجيلي متى يقول أن يوسف كان تلميذًا «سريًا» للسيد (متى ٢٧: ٥٧)، أما مرقس فلا يذكر أية علاقة كانت تجمع يوسف بيسوع وكأنه يشير إلى أن يسوع كان متروكًا من أقرب المقرّبين، حتى في دفنه، مضيفًا أن النسوة اللواتي تذكرهنّ الكنيسة هذا الأحد لم يشاركن في الدفن بل كنّ ينظرن من بعيد. بهذه الإضافة يفتتح الإنجيلي المشهد الثاني، مشهد مجيء النسوة إلى القبر واعتلان القيامة لهنّ.

خوف الأمس تبدد، وها هن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة يسارعن صبيحة أول أيام الأسبوع ليتمّمن مراسم الدفن اللائقة على جسد ذاك الذي أحببنه كثيرًا. قد يكون موت السيد مهانًا ودفنه كمن لا قريب أو صديق له هو ما حرك قلوبهن وأجج فيها عزم المحبة هذا. الإنسان الذي يعي عظمة الفداء يبكّر إلى السيد مسرعًا غير هيّاب. ثمة تباين في تحديد وقت الزيارة بين عبارتيّ «بكرن جدًا» و«وقد طلعت الشمس». قد يجوز تفسير هذا التباين بأن النسوة انطلقن باكرًا جدًا وبلغن القبر وكانت الشمس قد طلعت. بيد أننا نميل بالأكثر إلى رمزية لاهوتية يقودنا إليها ذكر الشمس الطالعة، وهي إشراق شمس القيامة مبيدة ظلمات الموت وطغيانه. في هذا المعنى الرمزي يبان لنا السيد مستبقًا كل مبادرة ومشرقًا شمسه على الوافدين إليه بعزم حاملات الطيب وإيمانهن. من يفِد إلى السيد حاملاً طيوب نفسه المنقاة بالتوبة والجهاد، وإن تعثّر أو ارتاب وقتًا ما، يلاقيه الرب بنور قيامته ويقسم له في ذاك الانتصار الباهر نصيبًا. لم يأتِ نص من نصوص الأناجيل الأربعة على سرد تفصيلي لحدث القيامة، لأن القيامة لا يُخبَّر عنها، بل يعاينها

المؤمن متى بادر إلى السيد حاملاً بيديه ثمار جهاده.

لم يلغِ اندفاع النسوة من نفوسهن بعضًا من شك لجهة من سيدحرج لهنّ الحجر عن باب القبر، وقد يكون هذا الشك مشروعًا إذ كان الحجر «عظيمًا جدًا». نفسنا البشرية يطبق عليها هذا الشك عينه، فهي تعرف أن بينها وبين نور سيدها حجرًا عظيمًا، حجر الخطيئة والجهل أو التجاهل، حجر العادات الأرضية التي تراكمت مع السنين. المؤمن يشتهي الانطلاق سريعًا ليعاين السيد حيًا ظافرًا وليستمد من ظفره ظفرًا، ويلازمه الضعف البشري مذكرًا: من يدحرج لنا الحجر؟ لم يكن باستطاعة النسوة أن يدحرجن الحجر الضخم، لكنهن لم يترددن بل وافين إلى القبر واثقات. المؤمن الحقيقي لا يعرف كيف ستزاح من دربه العقبات لكنه يقوم بعزم ويمشي إلى سيده راجيًا. في إنجيل متى وصف لإزاحة الحجر كبير المغزى: «وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر ...» (متى ٢٨: ٢). المؤمن يأتي إلى قيامة سيده على هذا الرجاء عينه. إنه وإن كان عالمًا بضعفه وواعيًا صغره، يعرف أن الرب الذي اجتاح مملكة الموت وزلزل أساساتها وأسوارها يرسل ملاكه السلامي بقوة ليزيح عن قلوب مريديه الحجارة التي راكمها الشرير، فيكون لهم أن يعاينوا قيامة سيدهم وينعموا بغنائم ظفره.

حاملات الطيب دخلن إلى القبر فذهلن لمنظر الشاب ذي الحلة البيضاء، وهذه الحلة تشير إلى الملاك. ملاك الرب يهدئ النسوة «لا تنذهلن»، ويزفّ إليهن بشرى القيامة مضيفًا «ليس هو ههنا». من عادات بعضنا أن يحاول حبس المسيح بين أطر تحددها أهواؤه، وذلك بابتداعه أوهامًا «إيمانية» تكذب على الضمير وتبرر التهاون. المسيح بعدما غلب الموت قائمًا لم يعد يسعه قبر، والقبر هو كل سعي إلى تحجيم المسيح أو تقزيمه. المسيح القائم من الموت لا يسعه إلا قلب المؤمن الحق، وكل ما عدا هذا القلب قبور.

ملاك الرب يكلف حاملات الطيب (وهن أول من بلغتهن بشرى القيامة) بنقل الخبر السار إلى التلاميذ، وإبلاغهم بأن يسبقوا السيد إلى الجليل. يستوقفنا في هذه الآية ورود ذكر بطرس بشكل خاص، والسبب برأي معظم المفسّرين تشديد قلب الرسول الكسير وانتشاله من فخ اليأس بعدما أنكر الرب ثلاثًا. السيد يسارع بعطفه وفيض حنوّه إلى المؤمن التائب، لكي لا تتسلّل إليه عبر الندم سموم اليأس من الخلاص.

لقد أراد الرب أن يكون لقاؤه القيامي الأول مع أخصائه في الجليل، والجليل هو الأرض التي بدأ يسوع فيها بشارته مفتتحًا الزمن المسياني، ومثبّتًا افتتاح الزمن الجديد بالتعليم والآيات وطرد الشياطين. في الجليل أيضًا اختار الرب أصفياءه وكشف لهم أسرار ملكوته. الرب يدعوهم للقائه في الجليل ليعرفوا أن هذا القائم ليس شبحًا بل هو يسوع نفسه في بداية حياته العلنية في الجليل. بيد أن موعد الجليل يحمل إلينا في هذا اليوم بالذات معنىً يتجاوز الأبعاد المكانية. التعليم الآتي إلينا عبر موعد الجليل هو أن يعود المؤمن،وقد تشدد بعيش فصح المسيح وقيامته، إلى قراءة الإنجيل منذ البداية، ليرافق المسيح من جديد منذ البداية علّه (المؤمن) يعود إلى «جليله» الشخصي، إلى لقائه الأول بيسوع، ليبتني منه صرحًا إيمانيًا جديدًا، أساساته اختبار القيامة ويقينها.

## أن نؤمن بالقيامة اليوم

لا نبالغ إذا اعتبرنا أنّ الكنيسة الأرثوذكسية هي أكثر كنائس العالم تغنيًا بالقيامة. وهذا لا يعبّر عنه فقط بما يختبره المؤمنون في الليتورجيا خلال قداس الفصح وما

## الإنجيل

(مرقس ١٥: ٤٣–٤٧؛ ١٦: ١–٨)

في ذلك الزمان جاءَ يوسفُ الذي مِنَ الرامَةِ مُشيرٌ تقيٌّ وكان هو أيضًا مُنْتَظِرًا ملكوتَ الله. فاجْترأ ودخلَ على بيلاطسَ وطلب جسدَ يسوعَ* فاستغربَ بيلاطسُ أنَّهُ قد ماتَ هكذا سريعًا. واستدعى قائدَ المئَةِ وسألهُ هل لهُ زمانٌ قد مات* ولمَّا عَرَفَ مِنَ القائدِ وَهَبَ الجَسَدَ ليوسفَ* فاشترى كتَّانًا وأنْزَلَهُ ولفَّهُ في الكَتَّان ووضعهُ في قبرٍ كان منحوتا في صخرةٍ ودحرجَ حجرًا على بابِ القبر* وكانت مريمُ المجدليةُ ومريمُ أمُّ يوسَّى تنظران أين وُضع* ولمَّا انقضى السبتُ اشترت مريمُ المجدليةُ ومريمُ أمُّ يعقوبَ وسالومَةُ حَنوطًا ليأتينَ ويدهنَّهُ* وبكّرنَ جدًّا في أول الأسبوع وأتينَ القبرَ وقد طلعتِ الشمسُ* وكنَّ يقُلْنَ فيما بينهنَّ مَن يدحرجُ لنا الحجرَ عن بابِ القبر* فتطلَّعنَ فرأينَ الحجرَ قد دُحرجَ لأنَّهُ كان عظيمًا جدًّا* فلما دخلنَ القبرَ رأينَ شابًا جالسًا عن اليمينِ لابسًا حُلَّةً بيضاءَ فانذهلنَ* فقال لهنَّ لا تنذهِلنَ. أتَطلبنَ يسوعَ الناصريَّ المصلوبّ. قد قام ليس هو ههنا. هوذا الموضعُ الذي وضعوهُ فيهِ* فاذهبنَ وقلنَ لتلاميذهِ ولبطرسَ إنَّهُ يَسْبقُكم إلى الجليل. هناك ترَوْنهُ كما

قال لكم* فخرجنَ سريعًا وفَرَرْنَ من القبر وقد أخذَتْهُنَّ الرِّعدةُ والدهَش. ولم يقلنَ لأحدٍ شيئًا لأنّهنَّ كنَّ خائفات.

## تأمل

يا له من سرّ خفيّ أكثر من الأسرار كلّها! تلميذان خفيّان يأتيان ليخفيا يسوع في القبر.وبطريقتهما الخفيّة يعلّمان السرّ الخفي في الجحيم، سرّ الله الذي توارى في الجسد. الواحد ينافس الآخر في حرارة استعدادهما نحو المسيح. من جهة يقدّم نيقودمس الدهن والطيب بإكرام، ومن جهة أخرى يتقدّم يوسف المستحق المديح إلى بيلاطس بجرأة وشجاعة.

لكن لماذا، بعد أن رمى عنه كل خوف، يتقدم إلى بيلاطس بجرأة ويطلب جسد يسوع؟ عندما يتقدم إليه يأتي بحذاقة كلّية من أجل أن يصيب هدفه. لذلك لم يستعمل في حديثه مع بيلاطس تعابير فاخرة لئلاّ يُغضبه ويفشل في طلبه. كما لم يقلْ له: أعطني جسد يسوع الذي أظلم الشمس منذ برهة،الذي شقّق الأرض والصخور، الذي شقَ حجاب الهيكل إلى إثنين. لم يقل لبيلاطس شيئًا من ذلك على الإطلاق. لكن ماذا قال له؟

شيئًا واحدًا أطلب منك يا سيّدي، غرضًا صغيرًا جئتُ من أجله: أعطني أن أدفن جسد ذلك المائت، الذي حكمت عليه بالموت، جسد يسوع الناصري، يسوع يُعرف بأسبوع التجديدات، أي الأسبوع الأول بعد أحد الفصح، إنّما هو في الحقيقة عرس قياميّ بامتياز لا توفر الكنيسة فيه وسيلة مرئيّة أو مسموعة لقول فرحها الكثيف بالسيّد المشرق من القبر. والأيام الأربعون التي تتلو الفصح تستمطر بركات هذا العيد على الدوام،ولا سيّما عبر ترديد الترتيلة المشهورة «المسيح قام من بين الأموات ووطئ الموت بالموت ووهب الحياة للذين في القبور». ويمتدّ عيد الفصح بظلاله على الدورة الليتورجية السنويّة فيصبح كل يوم أحد عيدًا فصحيًا صغيرًا، إذا جاز التعبير، لكوننا فيه نستذكر عيد القيامة محاولين إدخالها في دورة حياتنا وإيقاعها اليوميّ.

ماذا يعني أن يكون الفصح «العيد الكبير» كما درج العامّة في بلادنا على تسميته، و«عيد الأعياد وموسم المواسم» بحسب تعبير القديس يوحنا الدمشقي، كاتب قانون «اليوم يوم القيامة» الذي نرتله سَحَر الفصح؟ عيد الفصح، هو أوّلاً وأخيرًا إيماننا بقيامة المسيح يسوع، يقيننا أنّ الكلمة الأخيرة لم تكن لصالبي يسوع بل لله الذي أقام المسيح من الأموات وأظهره لصحبه ومن كانوا ملتفّين حوله حيًّا في اليوم الثالث.

ولكن، ماذا يعني أن نؤمن بقيامة يسوع؟ لماذا قيامة الناصريّ مهمّة إلى هذا الحدّ بالنسبة إلى كلّ شخص اعتمد على اسمه.

القيامة، أوّلاً، هي انتصار يسوع على الموت. لا شكّ في أنّ الموت هو، إلى اليوم، أكثر ما يعبّر عن عبوديّة الإنسان. العبوديّة يجب ألاّ تفهم هنا على نحو سطحيّ. البشر عبيد الموت بمعنى أنّهم يخشونه كما يخاف العبد سيّده. لذا، هم يحاولون بشتّى الوسائل تناسي الموت أو تناسي كلّ ما يذكّرهم به: العمليّات التجميليّة التي تخفي الشيخوخة، القبور في المدن الغربيّة التي تكاد لا تظهر للعيان الخ. الإنسان إلى اليوم يخاف الموت شاء أم أبى، اعترف بذلك أو لم يعترف. والثقة المطلقة التي يضعها البعض في العلم الحديث، ولا سيّما ذلك الذي يعنى بالآليات الوراثيّة، بوصفه الأداة التي ستسمح بتخطي مشكلة الموت، إن هي إلاّ برهان على أنّ خوف الموت ما زال يتحكم بسلوك كثير من البشر. موت يسوع وقيامته هما الحدث التاريخيّ الوحيد الذي يشكّل انتصارًا فعليًا على الموت. أوّلاً لأنّ يسوع تغلّب على خوفه من الموت في جوابه لبطرس في الجسمانية (إن كان مستطاع أن تعبر عنّي هذه الكأس) جاعلاً مشيئته البشريّة تريد تمامًا ما كان يريده أبوه السماويّ، أي الصليب الحاصل من أجل خلاص العالم (لتكن مشيئتك لا مشيئتي). ثانيًا، لأنّ موت يسوع لم يكن علامة تمرّد على الله، بعكس ما نقرأه في سفر التكوين عن آدم الذي كان موته علامة عصيانه الله، بل خضوع تام لله. ثالثًا لأنّ هذا الانتصار على الموت الذي حققه يسوع بالصليب عبّر عن نفسه بخروج يسوع من اللحد وبعودته بالجسد إلى عالم أولئك الذين اعتقدوه في غياهب الموت، حاملاً معه آثار الجراح التي تكبّدها على الصليب ومظهرًا لهم، على تعبير الرسول بولس، أنّ الموت لم يكن ليتسلط عليه (رو٦:٩).

غير أن القيامة هي أيضًا انتصارنا نحن على الموت، وهذه أهميّة قيامة يسوع.قيامة يسوع ليست حدثًا فرديًا يخصّ يسوع وحده. بهذا المعنى هي ليست كقيامة لعازر الذي أقامه يسوع قبل آلامه ببرهة قصيرة. لعازر أقامه يسوع، لكنّه عاد فمات كسائر البشر، أمّا يسوع فلن يموت بعد قيامته (رو ٦: ٩). قيامة لعازر فرديّة لأن مفاعيلها تخصّ لعازر وحده. أمّا قيامة يسوع فتخصّ كلّ من اعتمد على اسمه، لأنّ الذي اعتمد على اسم يسوع توحّد معه وصار مشاركًا في قيامته لكونه صار عضوًا من أعضاء جسده. قيامة يسوع، إذًا، لها مفعول جماعيّ لا

مثيل له لأنّها تجعل كلّ من آمن بيسوع واعتمد على اسمه منتصرًا على الموت.

ولكن كيف نحن منتصرون على الموت إن كنّا لا نزال نموت؟ ما معنى انتصارنا على الموت الذي تحقّق بيسوع إن لم تكن قيامة يسوع قادرة على تحريرنا من خبرة الموت التي لا بدّ حاصلة يومًا ما؟ الحقّ أنّ انتصارنا النهائيّ على الموت حاصل في اليوم الأخير لأنّ قيامة يسوع هي الباكورة التي تظهر أنّ كلّ البشر سوف يُقامون في يوم مجيء يسوع. لكنّ هذه القيامة الأخيرة لا تختزل مفاعيل انتصار يسوع على الموت. هنا، يجب أن نتذكر أنّ انتصار يسوع على الموت لم يكن عبر تفادي خبرة الموت إنما عبر عيش هذه الخبرة بطريقة أخرى، بطريقة تنتصر على الخوف من الموت وتجعل الموت، عبر الطاعة لله، علامة اتحاد به لا علامة تمرّد عليه. مشكلة الموت، إذًا، ليست مسألة انفصال النفس عن الجسد التي هي لا بدّ حاصلة لكلّ إنسان، حتى ليسوع نفسه، بل مشكلة علاقة الإنسان بالموت، خوفه منه أم لا، اعتباره نهاية الحياة الإنسانيّة أم مجرّد مرحلة تُظهر، كمراحل الحياة الإنسانية الأخرى، طاعة الإنسان لله واتحاده به. إذا عاش الإنسان الموت بكونه نغمة من نغمات وجوده الكثيرة التي تعبّر عن إيمانه بالله وطاعته له يصحّ فيه قول السيّد إنّ من آمن به لن يموت أبدًا (يو ١١: ٢٦). انتصارنا على الموت، إذًا، ليس مسألة ستتم في اليوم الأخير فحسب، بل هو خبرة نستطيع أن نعيشها اليوم وهنا، إذا اعتبرنا بملء كياننا، بعقلنا وقلبنا ووجداننا، أنّ الموت ليس له سلطة علينا بعدما غلبه يسوع بقيامته، وأنّ أفكارنا وتصرّفاتنا مدعوة أن تستمد تبريرها لا من خوفنا خبرة الموت، بل من يسوع الذي أظهر لنا في سلوكه كيفيّة الانتصار عليه.

هذا حقّقه يسوع خصوصًا عبر المحبّة التي دعانا إليها. فالمحبة وحدها كفيلة بأن تظهر أنّ الإنسان قادر على أن يقول للموت: أنت لست منطلق تصرّفاتي ومعيارها. كيف يكون ذلك؟ الموت قد يؤثر علينا إلى درجة أن نعتبر كل شيء من دون معنى، لأنّ كل شيء من وجهة نظر الموت هو إلى زوال. أمّا المحبة فاعتراف بقيمة الآخر الدائمة، بوجوده في الله وعدم زواله حتى بعد موته.لو لم يكن الأمر كذلك لكان موت الإنسان يعني فناءه الكلّي. غير أنّ يسوع أظهر لنا أن محبّة الآخر ممكنة وجديرة بالممارسة، لأنّ كلّ إنسان، حتى بعد موته، موجود في ذاكرة الله إلى أن يقيمه في اليوم الأخير. محبّتنا للقريب اليوم علامة على أنّ هذا القريب ليس إلى فناء، وأنّ موته ليس الكلمة الأخيرة، وأنّه باقٍ إلى الأبد لأنّ الله ارتضى أن يخلقه وأن يموت من أجله على الصليب، وهو سيقيمه في يوم الدينونة. لذلك تشدّد تراتيل القيامة على ضرورة المغفرة التي هي من أقوى التعابير عن المحبّة «اليوم يوم القيامة ... فلنصفح لمبغضينا عن كلّ شيء في القيامة». أن يحبّ المسيحيّ القريب كما أحبّه يسوع،هو، في نهاية المطاف، الجواب الأقوى على معضلة الموت. فالمسيحيّ بالمحبّة منتصر على الموت.

## معرض

تدعو جمعية حاملات الطيب الخيرية في سوق الغرب إلى المشاركة في معرضها السنوي للأشغال اليدوية والمنتجات البلدية الذي يُفتتح يوم الأحد ١٨ أيار ٢٠٠٣ بعد القداس الإلهي الذي يترأسه سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس في كنيسة دير القديس جاورجيوس في سوق الغرب. يستمر المعرض حتى ٢٥ أيار ويعود ريعه للعمل الإجتماعي.

الغريب، يسوع الفقير، الذي لا سقف له، يسوع المعلّق عريانًا، يسوع ابن النجّار الحقير، المقيّد والمعروض في البريّة، الغريب المجهول بين الغرباء، المعلّق والمزدرى به بالحقيقة.

أعطني هذا الغريب لأنه جاء من كورة بعيدة من أجل أن يخلّص الإنسان المتغرّب عن وطنه السماوي. أعطني هذا الغريب الذي نزل إلى الأرض المظلمة من أجل أن يرفع الغريب. أعطني هذا الغريب لأنه وحده غريب بالحقيقة. أعطني هذا الغريب الذي لا نعرف بلده نحن المتغربين. أعطني هذا الغريب الذي نجهل طريقه ومكانه نحن الغرباء. أعطني هذا الغريب الذي عاش حياة المغترب بين المغتربين. أعطني هذا الغريب الذي ليس له هنا ما يُسند إليه رأسه. أعطني هذا الغريب الذي لا سقف له، ووُلد في مغارة كغريب بين الغرباء. أعطني هذا الغريب الذي، وهو بعد طفل خارج من المزود، هرب لكي ينجو من هيرودس.

أطلب إليك يا بيلاطس من أجل مائتٍ معلّق على الصليب، ليس له أحد يخدمه، لا أب على الأرض، لا صديق، لا تلميذ، لا أقارب، لا أحد يدفنه. هو وحده الإبن الوحيد للأب الوحيد، الإله في هذا العالم، الذي لا إله سواه.

**القديس أبيفانيوس القبرصي**